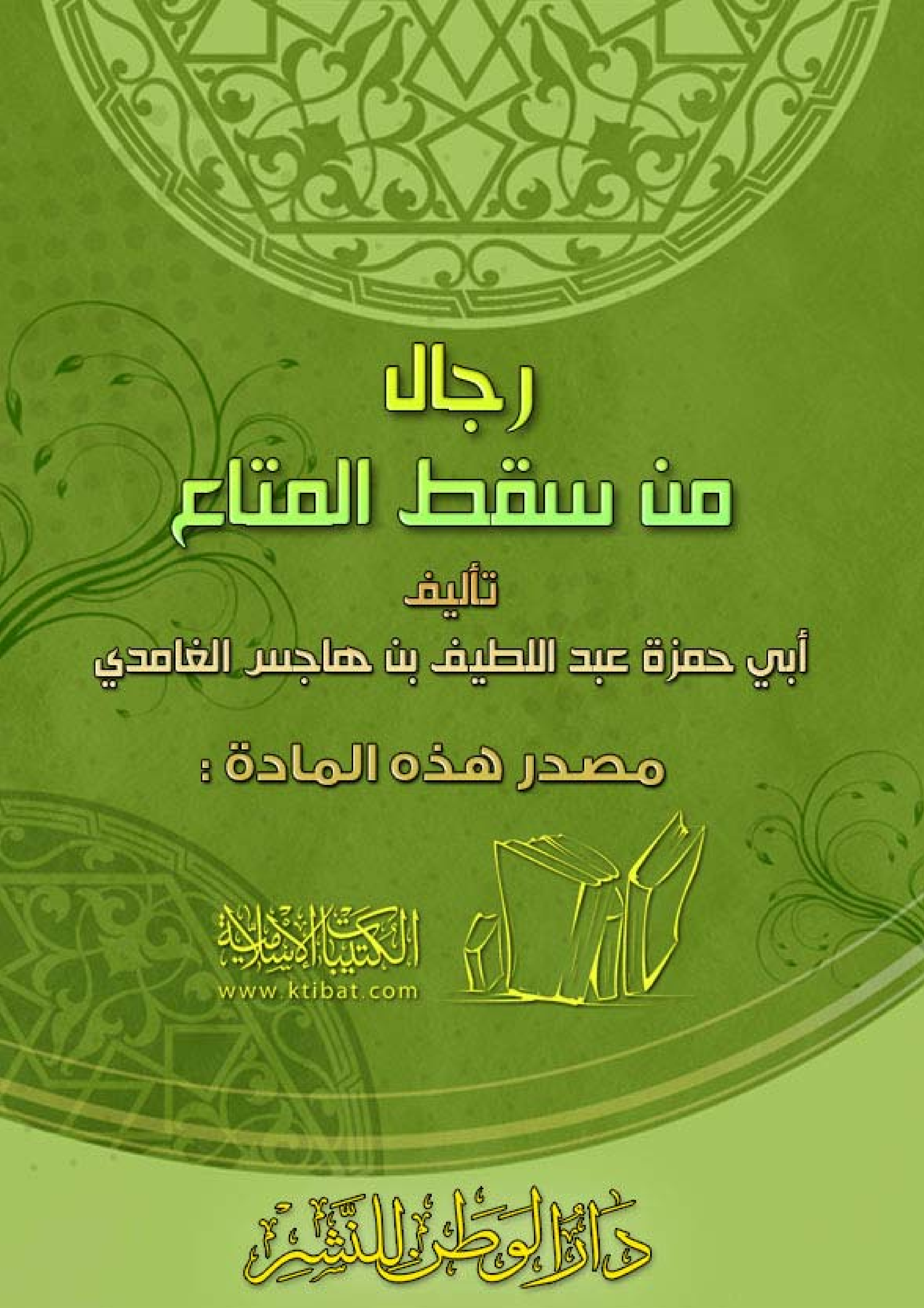

رجال
من سقط المتاع
تأليف
أبي حمزة عبد اللطيف بن هاجس الغامدي
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود والحوض المورود، سيدنا وقدوتنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله... أما بعد:

* في البداية.. عذرًا – أيها الإخوة – على القسوة! فربما تكون جراح الأقلام أدمى من جراح السِّهام، وأنكى من ركلة الأقدام..

ولمشـــقةٌ مـــن كاتـــبٍ بمـــدادهِ
أمضـــى وأقطـــعُ مـــن صـــنيع حُســـامِ

* وعذري أن هذه الرسالة لن يقرأها ويهتم بها – بإذن الله – إلا من علت همته، وزكت نفسه، وعظمت عزيمته، وصلحت سريرته، فطابت سيرته.

* والحق يقال: إنَّ لكل جواد كبوة، ولكل حكيم هفوة، ولكل حليم جفوة، ولكل سهام نبوة.. والتمام متعذر، والكمال عزيز.

وفي كلِّ مُستحســنٍ عيــب بــلا ريــب
ما يسلمُ الــذَّهبُ الإبريــز مــن عيــب (١)

(١) أبو الفضل السكري.

* ورسالتي هي موجعةٌ مفجعةٌ، تثير الحفائظ، وتؤلِّب النفوس، وتنكأ الجراح، وتدمي القلوب، ولكنها الحقيقة الدقيقة، صيغت بلفظ قاس، وحرفٍ حاد، ونبرة ملتهبة!

فلا يحزنك قولي؛ فإنه لك، وليس عليك!

ورُبَّ أمـــــر يســـــوءُ ثم يســـــرُّ
وكـــذاك الأمـــور حلـــوٌ ومـــرُّ (١)

أرسلها – بحياء – إلى من أريد بهم الصلاح، وسلوك دروب النجاح..

عنوانها المحبة.

وحاديها الشوق..

وحاملها الحنين..

وفحواها النصيحة المخلصة..

لمن لهم في القلب حظ ونصيب!

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٢).

ثمَّ أمَّا بعد:

رجالٌ من سقط المتاع!

---

(١) أبو العتاهية.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

ليس لهم في الواقع مواقع، ولا في الوجود جهود، ولا في ميدان العمل محل، فهم من سقط المتاع، ومن العمل الرِّعاع، يرضون من المكاسب بالدُّون، ويقنعون من المعالي باليسير، ويقبلون من الغياب بالإِياب!

ينكسون رايتهم قبل دخول المعارك، ويسلمون أعناقهم قبل حلول النزال، ويسقط في أيديهم حين وقوع النوازل، فليس حلول النزال، ويسقط في أيديهم حين وقوع النوازل، فليس لهم على الأمجاد اجتهاد، ولا على صعود القمَّة هِمَّة..!

ومــــن طلــــب العــــلا مــــن غــــير كــــدٍّ
أضــــاع العُمــــرَ في طلــــب المُحــــالِ (١)

والمعالي مهرها غال!

يــــا طالــــب المجــــد دون المجــــد ملحمــــةٌ
في طيِّهــــا تلــــفٌ للــــنفس والمــــالِ (٢)

هممهم فاترة، وعزائمهم خائرة، تملَّكهم الخوف والفزع، وسيطر عليهم الجبن والهلع، واستبدَّ بهم اليأس والجزع، يحسبون كلَّ صيحة عليهم، وكلَّ إشارة إليهم.

وما يدركُ الحاجات مــــن حيــــثُ تُبتغــــي
مــــن القــــوم إلا مــــن أعــــدَّ وشمَّــــرا (٣)

---

(١) أميَّة بن أبي الصلت.

(٢) كافور البنوي.

(٣) أبو العطاء السندي.

لا ينظر أحدهم إلا إلى موضع قدمه، ولا يعيش إلا لساعته، ولا يرعى إلا مصالحه، ولا يتعدَّى اهتمامه بغير نفسه، ولا يرى إلا صورته، ولا يسمع سوى صوته، ولا يأخذ إلا برأيه.

وإنَّ امـــرءاً لا يتَّقـــي سُـــخطَ قومِـــهِ
ولا يحفـــظُ القُـــربى لغـــيرُ مُوفَّـــق (١)

يُقضى الأمر ولا يستشار، ويُبتُّ في القضايا دون أن يؤخذ له رأي أو يُسمع له قرار..

إذا كنـــت لا تُرجـــى لـــدفع ملمـــةٍ
و لم يـــك للمعـــروف عنـــدك موضـــعُ
ولا أنـــت ذو جـــاهٍ يعـــاشُ بجاهـــه
ولا أنـــت يـــوم البعـــث للنـــاس تشـــفعُ
فعيشـــكَ في الـــدنيا وموتـــكَ واحـــدٌ
وعـــودُ خـــلال مـــن حياتـــكَ أنفـــعُ (٢)

فلا يُفتقد حال غيابه، ولا يؤبه به حين حضوره وإيابه..

من النـــاس ميـــتٌ وهـــو حـــيٌ بـــذكرهِ
وحيٌّ ســـليمٌ وهـــو في النَّـــاسِ ميِّـــت (٣)

والذي يفري الكبد أنه على العطاء قادر، وللبذل مستطيع، لكنَّ الكسل قعد به، والخمول كبَّل قدمه، والغفلة أركست هِمَّته،

(١) أبو زيد الطائي.
(٢) صالح عبد القدوس.
(٣) أبو العتاهية.

واهتماماته الدنيئة سلبته مكانته، وأنقصت من شأنه..

مـــن أيـــن يكتســـبُ المحامـــد لاهٍ؟
أم كيـــف يرقـــى للعـــلا بـــالله؟
وعـــلام يلـــهو، والثنـــاءُ علـــى الفـــتى
لا ينتـــهي، وعنـــاؤه متنـــاهي (١)

ولذا صحت في وجهه محذِّراً، وهتفت في مسمعه منذرًا، مع علمي الأكيد أنه على خير وفي خير، وله من الفضائل ما لا يُحصى أو يُنسى.

وليس لي الحق أن أصادر عمله، أو أمحو فضله، حتَّى لا أغدو كمن يحاول أن يطفئ الشمس بنفخة من فيه، لكني آمل منه المزيد من الفضل والإنعام، والبر والإحسان على الأنام، والعمل الجاد المتواصل الذي يسمو بالأمَّة بين الأمم حتَّى تُصبح قِمَّة الهرم!

و لم أجـــد الإنســـان إلا ابـــن ســـعيه
فمن كـــان أســـعى كـــان بالمجـــد أجـــدرا
وبالهمـــة العليـــاء يرقـــى إلى العـــلا
فمن كان أرقـــى هِمَّـــة كـــان أظهـــرا (٢)

ولا يزال في الأمَّة الخير إلى قيام الساعة، ولا يزال قائم لله بحجَّة ما تعاقب الليل والنهار، ولا يزال الله يغرس لهذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته، ويجري على أيديهم منافع العباد ومصالح البلاد

(١) حفني ناصف.
(٢) ابن هاني الأندلسي.

ليرفعهم بها في الدنيا والآخرة.

النِّـــــــاسُ مِنـــــــهُمُ كواحـــــــد
وواحِـــدٌ كـــالألف إن أمـــرٌ عَنـــا (١)

والنَّاس طاقات وقدرات، فليست كلُّ الطيور تحملُ الكتب، ولا كلُّ الدود ينسج الحرير، ولا كُلُّ الذباب ينتج العسل، وما كلُّ فرسٍ تُعدُّ للسباق، ومن يرضَ بالعيرِ يهجر كاهلَ الفرسِ، ولا يزالون مختلفين!

مـــا كلَّـــف الله نفسًـــا فـــوق طاقتـــها
ولا تجـــودُ يـــدٌ إلا بمـــا تجـــدُ (٢)

فمن النَّاس من همَّـه عند الثريَّا، ومنهم من هِمَّته تحت الثرى، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خَلُق له.

ولســـتُ مُســـفِّهًا قـــومي بقـــولي
ولكـــنَّ الرِّجـــالَ لهـــا مزايـــا (٣)

ولينتبه القارئ الكريم – وهذا مهم للغاية – أن حديثي هذا لا ينسحب على الجميع، فإنما أخاطب آحادًا وأفرادًا في مجموعات ومجتمعات، وما أبريءُ نفسي، فإنَّ الداء قد حلَّ بساحتي، ونزل بباحتي، وليس لي عليه معين إلا رب العالمين فعليه أتوكل، وإليه ألجأ، وبه أستعين..

---

(١) ابن دريد.
(٢) الفقيمي.
(٣) صفي الدين الحلي.

بعض الموظفين

* الموظف الذي رفع شعار: راجعنا غدًا! مرَّ علينا بعد أسبوع! المعاملة لم تنته!

ليواري كسله وخموله، وتقاعسه وفتوره..

يتشاغل عن مشاغل الناس.. ويتغافل عن طلباتهم.. ويتناسى إنهاء معاملاتهم.. وقته يمضي دون حساب في السلام والكلام..

ويذهب هدرًا في المكالمات الهاتفية الطويلة المملة المخجلة.

وفي قراءة الجرائد قليلة الفوائد!

وفي الأكل والشراب، ومقابلة الأقارب والأصحاب، والخروج من الدوام على الدوام..

وأصحاب المصالح المهملة والمعاملات المعطلة يكتوون بنار الانتظار، ويعانون من مرارة الاصطبار..

* عن أنس ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[1].

وربما يتعمد تأخيرهم، ويتقصد تعطيل أعمالهم ليشنِّف أذنيه بسماع رجاء الناس وتوسلاتهم، ويمتع عينيه بخضوعهم وذلَّتهم بين يديه..

(١) صحيح مسلم (١٠٩٣/٣) (١٧٣٣).

* عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهمَّ من ولي من أمر أمتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»(١).

وربما اضطرَّهم – آسفين – لدفع الرشوة الملعونة، أو كما يقول ذلك الأكول للمال الحرام: هدية! أو حق الشاي! أو ادهن السير يسير..

يسمونها بغير اسمها! تبًا لهم ولها!!

فإذا ما جاءه مراجع معلوم بكنزه أو مركزه، أو رجلٌ مدعوم بتوصية مغلَّفة، قام له باشًا وهاشًا في وجهه، مبادرًا لتنفيذ طلبه، معطيًا له من وقته وجهده واهتمامه ما يفتُّ به أكباد أولئك المراجعين المنتظرين خلف الأبواب المغلقة والنوافذ المشبَّكة!

* عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(٢).

تذوقتُ أنواع الشراب فلــم بحلقي أشهى مـــن حـــلال
ونمتُ على ريشِ النعام فلـــم فراشا وثيرًا مثل إتمام واجـــبي

(١) صحيح مسلم (١١٥٩/٣) (١٨٨٢٨).
(٢) أخرجه أبو يعلي، انظر: السلسلة الصحيحة (١٠٦/٣) (١١١٣).
(٣) القروي.

بعض الأطباء

الطبيب الذي يرى المريض يقاوم الآلام، ويصارع الأسقام..

يسمع أنينه وحنينه.. ويبصر زفراته وآهاته.. ويرى توجعه وتألمه..

ثم لا يُحرِّك ساكنًا، ولا يُسكن ألَمًا..

ينظر إليه بتبلُّد وجمود، ويعامله بصلف وصدود، ويخاطبه بتكبر وجحود.

فأين هذا القلب الذي غدا كالحجر الصلب عن تفريج الكربات، وتخفيف النكبات، وتنفيس الغموم والهموم؟!

* عن عمرو بن حبيب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله في قلبه رحمةً للبشر**»[1].

أين الاحتساب يا ذوي الألباب؟! في مداواة الجرحى، ومعالجة المرضى، والصبر على الكثرة والازدحام، واللطف والعطف على الأنام؟!

* عن ابن المنكدر رحمه الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفضل العمل إدخالُ السُّرور على المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجة، تُنفِّس له كربة**»[2].

(١) أخرجه الدولابي وابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسلة الصحيحة (٧٤٠/١) (٤٥٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٨١/٣) (١٤٩٤).

دونكم – أيها الأطباء – هذه الأجور العظيمة، والحسنات الكريمة..

اغتنموا منها ما تستطيعون، واهتبلوا منها ما تقدرون، فتنفيس كربات اليوم الحاضر؛ مهر تنفيس كربات الغد السائر!

* عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كُربِ الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر علَى معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد، ما كان العبدُ في عون أخيه...**»(١).

مـــا نـــال محمـــدةَ الرِّجـــال وشـــكرهم
إلا الصـــــبور علـــــيهمُ المفضـــــالُ

* * * *

(١) صحيح مسلم (١٦٤٧/٤) (٢٦٩٩).

بعض الأولياء

الولي الذي لا يغار على محارمه..

فتراهنَّ يخرجن مبترجات سافرات، كاسيات عاريات، مائلات مميلات، قد كشفن أقدامهنَّ وأرجلهنَّ، وأخرجن أكفهنَّ وأيديهنَّ، وحسرن الغطاء عن شعورهنَّ، وربما انتقبن بما يزيد في الفتنة بهن، ويغري ضعاف الإيمان بالتطاول عليهنَّ..

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

يخرجن وقد تلطخن بالأصباغ الفاتنة، وتطيبن بالعطور الملفتة، ولبسن العباءات المزركشة فوق الأزياء المتهتكة والموديلات الفاسدة..

وكلٌّ ذلك على عين الولي وتحت سمعه وبصره وعلمه..

يراهنَّ يضاحكن الباعة في سماحة باهتة..

ويتسكعن في الأسواق المكتظة بذئاب البشر..

ويتنزهن في غير حشمة أو ستر في الحدائق المختلطة بالرجال الأجانب..

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

ثمَّ لا تفور الغيرة في أوردته.. ولا تجري دماء الحميَّة في شرايينه..

أشباه رجال ولا رجال!

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت**»[1].

وربما ذهبت إحداهنَّ مع السائق السارق لوحدها، وكأنه من محارمها أو من بنات جنسها، ليجوس بها الديار، ويذهب لها — دون رقابة — ذات اليمين وذات اليسار! والولي الغافل لا يدري أيُّ أرض تقلُّها؟ وأيُّ سماءٍ تُظلُّها؟

ثم يقول ذلك الكسول، ويا بئسما يقول: أنا واثق بها! ويتناسي ذئاباً بشريَّة، ووحوشاً كاسرة تحوم حول الفريسة المخدوعة التي لا حامي لها ولا راع!

وإذا أُمنت العقوبة ساء الأدب ورأيت العجب!

* * * *

(١) صحيح سنن أبي داود (٣١٧/١) (١٤٨٤) وقال الألباني: حسن.

بعض المعلمين

المعلم الذي يرى التعليم وظيفة مملة عقيمة، وليس رسالةً عظيمةً..

فلا أثر لها في قلوب تلاميذه، ولا دور له في تهذيب سلوكهم، وتقويم أخلاقهم، وحلِّ مشاكلهم، وتغيير مفاهيمهم، وتأديب طباعهم.

همُّه تلك المعلومات المجرَّدة يحشو بها العقول وينسى القلوب والأفئدة..

يراقب مديره الحازم، ويخاف من موجهه الصارم، ويخشى من تلميذه الناقم، وينسى أن التعليم مهمَّة الرسل والأنبياء، وعمل العظماء، ورسالة الحكماء؛ فلا شرف يوازيها، ولا كرامة تساميها!

* عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتَّى النملة في جحرها، وحتَّى الحوت في البحر، ليصلُّون على مُعلم النَّاس الخير**»(١).

فـــم للمعلـــم وفِّـــه التبجـــيلا
كـــاد المعلـــمُ أن يكـــون رســـولا
أعلمـــتَ أشـــرفَ أو أجـــل مـــن الـــذي
يـــبني وينشـــيء أنفسًـــا وعقـــولا (٢)

(١) صحيح الترمذي (٢/٣٤٣) (٢١٦١).
(٢) أحمد شوقي.

لكنها انحطَّت في عينه لانحطاط همَّته وفتور عزيمته، ويبرر لتقصيره في أداء واجبه بمعاذير مختلفة وحجج ملفقة، فربما يردد في يأس وقنوط: لماذا أصارع التيار؟! وأقاوم الإعصار؟!

سأترك الحبل على المغارب، وأترك الجمل بما حمل!

فيدع العمل، ويردد في فتور وكسل:

شـــوقي يقـــول ومـــا درى بمصـــيبتي
قـــم للمعلـــم وفِّـــه التبجـــيلا
اقعـــد فـــديتكَ هـــل يكـــون مـــبجلاً؟
مـــن كـــان للـــنشء الصـــغار خلـــيلا
ويكـــاد يقلقـــني الأمـــيرُ بقولـــه:
كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا
لـــو جـــرَّبَ التعلـــيم شـــوقي ســـاعة
لقضـــى الحيـــاة شـــقاوة وخمـــولا
حســـبُ المعلـــمِ غُمَّـــةً وكآبـــةً
مـــرأى الـــدفاتر بكـــرةً وأصـــيلا
لا تعجبـــوا إن صـــحت يومًـــا صـــيحةً
ووقعـــت بـــين البنـــوك قتـــيلا
يـــا مـــن يريـــدُ الانتحـــار وجدتـــهُ
إِن المعلـــمَ لا يعـــيشُ طـــويلاً (١)

---

(١) إبراهيم طوقان.

شغله الشاغل نهاية الحصَّة، وبداية الإجازة، ويوم الراتب!

ولذا فهو يُعدُّ لورقة الاختبار ويوم الامتحان، أمَّا أن يُعدَّه لاختبار الآخرة، فيخرج لنا جيلاً تقيًا نقيًا، زكيًا ذكيًا، يخاف الله ويخشى لقاءه، فذلك مما لا يخطر له على بال.

فأين التربية، يا أهل التربية؟!

أين الأثر الذي لا ينطمس، والعلم الذي لا يندرس، والموقف الذي لا يُنسى، والعبرة التي لا تنتهي؟!

أين؟! أين؟!

أيـــن الـــذي كنـــت أرجـــوه وآملـــه
أمَّا الـــذي كنـــت أخشـــاه فقـــد كانـــا

* * * *

بعض الكتَّاب

الكاتب أو الصحفي الذي وهب الله تعالى ملكة القلم السيَّال والحرف الرقيق والكلمة المعبرة والتصوير المؤثر، فأخذ يصول ويجول فيما لا فائدة فيه، ولا طائل خير يعود من وراء ما يسوِّد به الصحائف!

وربما زلَّت به القدم وطاش به القلم، فكتب ما شرُّه أقرب من خيره، وضرُّه أكثر من نفعه..

عندما أخذ يهذي بما لا يدري، ويرهف فيما لا يعرف، ويغوص في بحر الفكر والثقافة وليس يحسن العوم في ضحضاحه..

يا بـــاري القـــوس بريًـــا لـــيس يُحسِـــنُهُ
لا تُفسِـــدَها وأعـــطِ القـــوسَ باريهـــا [(١)]

وربما أصبح معول هدم ومنجل صرم بين أصابع ومخالب أعداء الله تعالى ينشرون به فكرهم، ويسطرون بيراعه زيفهم، بعد أن غدا يلقف ما يأفكون، ويقمُّ ما يتقيؤون، ويرتضع منهم زبالات فكرهم لينفثها سمًا زعافًا في قلوب الغافلين وعقول المغفلين!

* قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[(٢)].

---

(١) أبو ليلى المهلهل.
(٢) سورة النحل، الآية: ٢٥.

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم آثام من تبعه، ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[(١)].

لا يكتب لينافح عن دينه أو ليبرز محاسنه أو ليدعو إليه أو ليفنِّد مؤامرات أعدائه عليه، وإنما شغله الشاغل وهمه المتواصل ما يكتبه عن فنون الأقدام والأجسام والأفلام.. وغير ذلك مما لا داعي له أو لا فائدة فيه.

فواحسرتاه على من يدع الصفو ويشرب الكدر!

وينام في الصحو ويرحل مع النقع إذا انتشر!

ومـــا مـــن كاتـــب إلا ســـيفنى
ويبقـــى الـــدهر مـــا كتبـــت يـــداه

فـــلا تكتُـــب بخطِّـــك غـــير شـــيء
يَسُـــــرُّكَ في القيامـــــة أن تـــــراهُ[(٢)]

* * * *

(١) صحيح مسلم (١٦٣٦/٤) (٢٦٧٤).
(٢) الرياشي.

بعض الأغنياء

الغني الثري الذي يحمل همَّ تجارته، وغمَّ حساباته، ثُمَّ لا يحمل همَّ جوعى المسلمين الذين نهشهم الجوع، وأضنتهم الأمراض، ودمرهم الجهل، وأردهم المسغبة.

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

تراه يغير أثاث بيته في كلِّ حين، ليوافق أحدث الصرخات! ومن المسلمين من يفترشون الأرض ويلتحفون السماء!

ويبدِّل مركباته لتتبع ما التقفته الأسواق من الموديلات! ومن المؤمنين من يمشي حافي القدمين دون حذاء!

ويغيِّر ملابسه بتغير الزمان والمكان، ليكسر قلوب الفقراء! يتباهى بها بين الضعفاء!

* عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاهُ الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتَّى يُخيِّرهُ من أيِّ حُلل الإيمان يلبسُها**»[2].

ينفق في المناسبات الاجتماعية ما لا عدَّ له ولا حدَّ، ليقال عنه؛ جواد زمانه، وحاتم عصره!

فإذا ما جاءه الفقير المدقع، ضاق به صدره، وأشاح عنه

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٢) صحيح الترمذي (٢/٣٠٣) (٢٠١٧).

بوجهه، وأعرض ونأى بجانبه، ثمَّ ولَّى عنه الدُّبر!

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(١).

وربما تجد من أقاربه وجيرانه وأصدقائه وخلانه من يعانون من التقاسيط التي قصمت ظهورهم، والديون التي سكبت ماء وجوههم، ويقاسون من الحرمان والخصاصة والفاقة، وهو لا يشعر بهم، ولا يحسُّ بمعاناتهم، ولا يمدُّ بيده لهم للتنفيس عنهم، والتفريج عن كرباتهم.

فإذا ما ذكَّرته بالإنفاق.. ادَّعى الإملاق!

وإذا ما رغَّبته في البذل والعطاء.. اشتكى قِلَّة الموارد والنماء!

وإذا ما أنذرته بالآخرة، صاح فيك متنمرًا: أريد تأمين مستقبل حياتي، وزماني الآتي.

وأين أنت عن مستقبلك الحقيقي، وعمرك الأبدي، وحياتك الباقية في يوم القيامة؟!

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١].

فتبًا للأماني الخادعة كيف تفعل بالعقول الغافلة والقلوب القاسية!

فيا له من غنيٍّ من الأموال المتكاثرة!

وويله كم هو فقير من الأعمال الصالحة!!

* * * *

(١) سورة المنافقون، الآيات: ٩-١١.

بعض الجنود

الجندي الذي لا يعرف شرف مهنته، ولا أهمِّيَّة مهمَّته..

فيتأفف من وظيفته، ويزهد في عمله، ويضجر من رسالته، ويغفل عن الأجور العظيمة التي أكرم الله بها من بات يكلأ أمَّته، ويحرس رعيَّته، ويدافع عن عقيدته، ويجاهد من أجل مقدَّساته، ويناضل من أجل وطنه حتَّى لا تُرفع فوق ثراه غير راية الإسلام، ولا يحكَّم فيه غير شرع الملك العلام.

فتراه يندب حظَّه، ويعض على أصابعه من فرط الندم وتتابع الألم، ويقول بلسان الخامل المتكاسل:

وما دخلي أنا بالنَّاس؟!

هم يغطون في نومهم، وأبات أسهر على حمايتهم!

يرتاحون في دورهم، وأنصب على راحتهم!

يجتمعون مع أهليهم في البيوت والقصور، وأنا عاكفٌ أحرسهم على الثغور!

فيجتمع عليه التعب والنصب، والملل والكسل، وذهاب الأجر والثواب، لغياب الصبر والاحتساب.

* عن أبي ريحانة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُرِّمت عينٌ على النَّار، سهرت في سبيل الله**»[1].

(١) صحيح النسائي (٢/٦٥٣) (٢٩٢٠).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس الحرس في أرض خوف لعله لا يرجع إلى أهله**»(١).

وربما رأيته يعامل الناس في فظاظة وقسوة، وغلظة وجوفة، قد ارتسمت على محياه نظرة العبوس، وفاحت من لسانه كلمات الأذى، لأنه يرى النَّاس دونه، وأنَّه يعلو ولا يعلى عليه، ويسمو فلا يُوصل إليه!

* عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُحرم الرِّفق، يُحرمِ الخير**»(٢).

تواضـــع تكـــن كالبـــدر لاح لنـــاظرِ
علـــى صـــفحات المـــاء وهـــو رفيـــعُ
ولا تـــك كالـــدخان يعلـــو تجـــبرًا
علـــى طبقـــات الجـــو وهـــو وضـــيع

* * * *

(١) أخرجه الروياني في مسنده والحاكم في مستدركه، انظر: السلسلة الصحيحة (٦-٧٣٩/٢) (٢٨١١).
(٢) صحيح ابن ماجه (٢٩٩/٢) (٢٩٧٣).

بعض المغتربين

ذلك الذي حزم حقائب سفره ليحلَّ وثاقها في ديار لا تشقُّ سماءها منائر الأذان أو منابر الإيمان.

فتنظره – ويا لسوء ما تبصره! – ينسلخ عن دينه، ويتجرد من إيمانه، ويقطع كلَّ حبلٍ وثيق له بعقيدته..

ليغدو كالبهيمة السائمة، يلهث في نهم وسعار من شهوات الجسد، وملذات البدن، ليشبع نوازع الحيوان فيه، ويستجيب لنوازع الشيطان عليه، دون وازع من دين أو رادع من عقل أو مانع من حياء!

عرضت عليه الفتن عودًا فأُشربها قلبه الذي غدا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما وافق هواه وساير رغبته.

قد أُصيب بالهزيمة النفسية والإفلاس الروحي لأنه غير واثق بنفسه أو معتزٍ بدينه، ولذا فهو ينكِّس رأسه خجلاً وذلَّة إذا استعلت رؤوس من لا يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ لأنه يرى نفسه دونهم، وأقلَّ منهم، فهو ينظر إليهم من طرف خفيٍّ، كنظرة منكسر بين يدي منتصر!

«ونحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزَّة في غيره أذلَّنا الله».

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

فتراهم – ويا للأسف! – يستعلون بباطلهم وكفرهم وتمردهم على خالقهم، وينافحون عن معتقدهم الفاسد، ويذودون عن دينهم المنحرف، وهو يجاملهم في انهزام ويداريهم في انكسار، ويداهنهم في مسكنةٍ وصغار، ويعاملهم في ذلَّةٍ واندحار، ويحاكيهم في حياتهم ومعاشهم، ويتشبَّه بهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم..

تقاربت القلوب.. فتشابهت القوالب! «**ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**».

فهو معجبٌ بهم إلى درجة التبجيل..

ومستحسنٌ لحالهم إلى حدٍّ تضخيم الحسنات والتغافل عن السيئات..

فإذا ما نطق لسانه بثناء.. فعليهم.

وإذا ما أشار بإصبعه إلى رقيٍّ.. فلهم.

وإذا تحدَّث عن مزيَّة.. فعنهم.

مال قلبه إليهم، فجرى لسانه بذكر ما لديهم..

مادحٌ لهم، وقادحٌ في غيرهم..

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...**﴾[1].

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

عرفوا الإسلام من خلاله، فقاسوا المسلمين عليه، وشبَّهوا المؤمنين به، فزهدوا — بزعمهم — في دين ينجب مثله، وقالوا بلسان حالهم ومقالهم: لو كان في دينه خيرٌ لنطق به، أو كان فيه صلاحٌ لظهر عليه، ولغيَّر من حاله، فأصبح — ويله! — فتنةً للقوم الكافرين!



الخاتمـــــة

... وبعد:

هؤلاء بعض رجالٍ من سقط المتاع..

وجودهم كعدمهم.. وحضورهم كغيابهم.. وحياقم كمماقم.. قولهم كصمتهم.. وفعلهم كسكوهم.. فهم لا يتأثرون ولا يؤثرون! لا يقدِّمون ولا يؤخرون!

إذا المـــــرء لم تغـــنِ العفـــــاةَ صـــــلاتُه
ولم يــــرغم القـــومَ العـــدى ســـطواتهُ
ولم يــرضَ في الـــدنيا صــديقًا ولم يكـــن
شـــــفيعًا في الحشـــــر منـــــه نجاتـــــهُ
فـــإن شـــاء فليهلـــك وإن شـــاء فلـــيعش
فســـيان عنـــدي موتُــــهُ وحياتُـــــهُ [1]

وهم – على أيِّ حال – خيرٌ من سوء المتاع، وأفضل ممن ضلَّ سعيهم، وأكمل ممن سارت سيرقم، وأولى ممن شانت أفعالهم، وخابت أقوالهم.

فلا يزال الخير فيهم.. لكنَّ هممهم خبت جذوقا تحت رماد الغفلة، وحاجتها ماسَّة إلى واعظ مخلص ومذكِّر صادق ينفخ – بحبٍّ ومودة – في جمرة عزائمهم في غير عنف فيحرقها، ومن غير ضعف فيخمدها! والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن

(١) علي بن أرسلان الكاتب.

الضعيف، وفي كل خير!!

والمـــــرء يـــــذكرُ بالجمائـــــلِ بعــــده
فــــارفع لــــذكرك بالجميــــل بنــــاءً

واعلـــم بأنـــك ســـوف تـــذكر مـــرَّةً
فيقـــال أحســـن أو يقـــال أســـاء [1]

وكتبه

عبد اللطيف الغامدي

غفر الله له وتجاوز عنه وتقبل منه

* * * *

(١) أحمد شوقي

الفهـــرس

* * * *